

### ٣ - رحلة إلى بلاد المجد المفقود

تأليف مصطفى فروخ والصور بريشته

مطبعة الكشاف ببيروت سنة ١٣٥٢

الأندلس ... كلمة واحدة توقظ في دم كل عربي تاريخًا من المجد والجمال والعلم والأدب وتوقد فيه نيرانًا من الألم والغيظ والغضب والحسرة ، كلمة واحدة تراها ضاحكة في التاريخ ، كلمة واحدة تراها حاملة راية النصر والدماء تسيل على جوانبها وتحت أقدامها ، كلمة واحدة تحمل أسباب الحياة إلى العالم فتحمل فيه ألوانًا من العذاب والظلم والفتك والاعتداء ، كلمة واحدة مرّت على التاريخ كما يمرّ الحلم اللذيذ الفرح المحفوف بالجمال والشباب وروائع الخيال ثم توقظ التاريخ من حلمه تلك الجلافة البربرية الضارية التي أنت بها دواوين التحقيق في أبشع الصور وأقبح المطالع وأفظع الوجوه ... لك الله أيتها الأرض العزيزة التي ضمت درر التاج العربي ونفائس الإرث الإسلامي وروائع الجمال الإنساني ، لك الله يا أرض الأمجاد من بني مروان .

هكذا تدول الدول ويتحطم المجد ويخبو الشعاع لتقوم في كل قلب دولة من الذكري ويبنى في كل فؤاد بنيان من الحسرة وتشتعل في كل مهجة نار من الألم ، ويرحل الراحلون ليقفوا على بقايا الأطلال ودارسات الرسوم ليعثوا في القلوب الذكري ويجددوا في الأفئدة بنيان الحسرة ويورثوا المهج نيران الألم .

أجلت قراءة « الرحلة إلى بلاد المجد المفقود » ظنًا مني بأنها كالكتب التي تصدر عن الرحلات في ضعفها وفتورها وجمودها وقلة روائها وذهاب مائها ، فلما قرأتها عدت على نفسي بالملامة أن لم أكن بادرت إلى قراءتها من أول يوم ، فقد اجتمع للأستاذ « فروخ » في هذا الكتاب من دقة الوصف وبراعة البكاء على أطلال المجد العربي وصحة النظر الاجتماعي والإحاطة بكثير من تاريخ البلاد التي رحل إليها - الأندلس - ولطافة الملاحظة ، ما عدمته كثير من الرحلات التي قرأناها

وكانت أشبه بجريدة الإحصاء أو سجلّ الوفيات والمواليد . ولولا ما يشوب بعض جملها من ضعف التركيب لكانت من أغلى الدرر في كتب الرحلات التي يراد بها إيقاظ الإحساس النبيل في نفوس أصحاب المجد الغابر وإرهاف الشعور السامي في قلوب طُلاب المجد ومجدّدى حضارة العرب من أبناء هذه الأمة العربية .

بقي أن نلوم الأستاذ « فروخ » على استهائه بتأريخ ما يذكره من الحوادث بالتاريخ العربي الهجرى ذلك لأننا إذا تابعنا أصحاب الفتنة على ما يفتنوننا به من زخرف القول في الاقتصار على التاريخ الميلادى في تاريخنا لاختلط على شبابنا التاريخ ، وماظنك بألف وثلاثمائة سنة كتبت كل كتب التاريخ العربى فيها بالتاريخ الهجرى ، أيسهل أن نقلب التاريخ الهجرى فى الكتب العربية إلى تاريخ ميلادى ؟ على شبابنا أن يعود سمعه وبصره وذاكرته على التاريخ العربى ولا يضعه بمنزلة أدنى مما تنزل الذكر الجميلة من قلبه ، وعلى شبابنا أن يحترم رمزاً للمجد العربى يكاد يكون هو الباقي فى حياتنا من الحياة العربية . هذا ولو أن الأستاذ فروخ اتخذ تاريخه التاريخ الميلادى لكان ذلك هيناً ، ولكنه خلط فى الكلمة الواحدة بين التاريخ الميلادى والتاريخ الهجرى وفى ذلك من وضع العثرات فى طريق القارىء ما فيه . أما ما فى الكتاب من الخطأ التاريخى الذى تنبه له بعض الكتّاب فذلك ما نرجو الأستاذ أن يبرىء كتابه منه فى الطبعات التالية .

ثم لعلّ الأستاذ « فروخ » سيواصل رحلاته إلى أطلال المجد العربى ويخرج لنا الدرر التى طغى عليها تراب النسيان ، وستر جمالها كيد الكائدين وعنث المعنيتين فالأمم العربية الآن تحتاج إلى من يذكرها بمجد أسلافها وعزّ آباؤها وحضارة أجدادها لتجد فى نفسها مضض الحسرة وفى الحسرة الألم وفى الألم الشعور وفى الشعور الحياة والطموح والشوق إلى الفوز والغلبة .